

سورة الإسراء

(الآيات: 90 - 93)

الدرس

23

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف على الخوارق المادية والسخافات التي طلبها المشركون من النبي ﷺ.
- 2- أن أستنتج أسلوب الحكمة في جواب النبي ﷺ على طلبهم.
- 3- أن أقتدي بالنبي ﷺ في محاوره من يخالفني في الرأي.

تمهيد

بعد عجز مشركي العرب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم؛ أخذوا يراوغون ويقترحون آيات أخرى تعنتا وحيرة، فطلبوا من النبي ﷺ إحدى آيات ست برهانا على صدق رسالته، فأمره الله تعالى بالرد عليهم ونبذ مطالبهم؛ لأنه ليس إلا بشرا أرسله الله ليلبغهم دعوته، فلا يملك التصرف في الكون.

فما الذي جعل المشركين يطلبون من النبي ﷺ هاته الآيات؟ وكيف رد الله تعالى على مطالبهم؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا آلَ نُؤْمٍ لَّمَّا حَسَرْنَا تَقْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَنَا جَنَّةٌ مَّرْقُبَةٍ وَعَيْنٍ فَتَقْجِرَ أَلَانَا تَقْجِرَ ۝٩١ أَوْ تُسْفِكُنَا السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلًا وَالْمَلِكَةِ فَيَلَا ۝٩٢ أَوْ يَكُونُ لَنَا بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾

أَوْ تَرْفَعِ فِي السَّمَاءِ وَلَىٰ نُؤْمِنُ بِرَفِيقِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ، فَلَسْبَحَ رَبِّي
فَلَمْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿93﴾ [سورة الإسراء: 90 - 93]

الفهم

الشرح :

يَنْبُوعًا : عينا لا ينضب ماؤها.

جَنَّةٌ : بستان كثير الأشجار.

كِتَابًا : قطعاً جمع كسفة كقطعة.

فَبِئَلَاءَ : مقابلة لنراهم عياناً.

مِّنْ زُخْرٍ : من ذهب.

تَرْفَعِ : تصعد في السماء على السلم.

استخلاص مضامين الآيات:

1- ماذا طلب المشركون من النبي ﷺ في هذه الآيات؟

2- مم نزه الله تعالى نفسه في هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: طلب المشركين من النبي ﷺ الإتيان بخوارق مادية برهاناً على صدقه:

لم يعترف المشركون بأن عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن الكريم يثبت أنه كلام الله، ويثبت نبوة رسوله ﷺ؛ إذ بعد أن أفحمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب المقنع، حادوا إلى سؤال النبي ﷺ إنزال إحدى ست آيات حتى يؤمنوا به.

وروي في طلبهم هذا حديث طويل، حاصله: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وعبد الله بن أبي أمية والنضر بن الحارث وغيرهم من مشيخة قريش وسادتها، اجتمعوا فعرضوا عليه ﷺ أن يملكوه إن أراد الملك، أو يجمعوا له المال الوفير إن أراد الغنى، أو يطبوه إن كان به داء ونحو هذا من الأقاويل، فدعاهم رسول الله ﷺ عند ذلك إلى الله، وقال: "إنما جئكم من عند الله بأمر فيه صلاح دينكم ودنياكم، فإن سمعتم وأطعتم فحسن، وإلا صبرت لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم بما شاء"، فقالوا له حينئذ: فإن كان ما تزعمه حقا ففجر لنا ينبوعا ونؤمن لك، ولتكن لك جنة، إلى غير ذلك مما كلفوه، فقال لهم رسول الله ﷺ: "هذا كله إلى الله، ولا يلزمني هذا ولا غيره، وإنما أنا مستسلم لأمر الله"، هذا هو معنى الحديث. وفي الألفاظ اختلاف وروايات متشعبة يطول سوق جميعها، فاختصرت لذلك.

ويروى أن قائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية، فإنه قال لرسول الله ﷺ: "إني لا أؤمن لك حتى تأتي بكتاب أراك هابطا به، فيه من الله عز وجل إلى عبد الله بن أبي أمية". وروي أن جماعتهم طلبت منه نحو هذا.

وما طلبه المشركون من النبي ﷺ ستة أنواع من المعجزات:

أولها: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا آلَ نُوْمِرٍ لَّمَّا حَسَرْتُمْ تَابِعِيْنَ لَنَا مِرَالًا زُرِّيْ نُبُوعًا﴾، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿حَسَرْتُمْ تَابِعِيْنَ﴾ بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة. وقرأ عاصم وحمزة الكسائي حتى "تَفْجَرُ" بفتح التاء وضم الجيم. وفي القرآن ﴿بَانْفِجَارٍ﴾ [البقرة: 59]، و"انفجر" مأخوذ من "فجر" دال على المطاوعة، فهذا مما يقوي القراءة الثانية. وأما الأولى فنقتضي المبالغة في التفجير. وعبر بكلمة ﴿يَنْبُوعًا﴾ للإشعار بأنهم لا يريدون من الماء ما يكفيهم فحسب، وإنما يريدون ماء كثيرا لا ينقص في وقت من الأوقات، فهي صفة مبالغة إنما تقع للماء الكثير. وطلبت قريش هذا من رسول الله ﷺ بمكة، وإياها عنوا بـ ﴿الْأَرْضِ﴾، فالتعريف فيها للعهد.

وثانيها: قوله سبحانه: ﴿أَوْ تَكُوْنُ لِّلْمَآءِ حِمَّةً مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنِيْ فَتَقْجِرَ أَلَنَامُ رَحَلًا تَفْجِيرًا﴾، اقترحوا الجنة أن تكون بمكة لامتناع ذلك فيها، وإلا ففي سائر البلاد كان ذلك ممكنا، وإنما طلبوا

أن يكون ذلك بأمر إلهي في ذلك الموضع الجذب. وقوله: ﴿فَتَقَبَّحُوا﴾ تضعيف مبالغة لا تضعيف تعدي، كـ ﴿وَعَلَّقَ الْآبُوتَ﴾ [يوسف: 23]. و﴿خَلَّلَهَا﴾ ظرف، ومعناه: أثنائها وفي داخلها.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْفِكُ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْبًا﴾ قوله: ﴿كَمَا زَعَمْتَ﴾، إشارة إلى ما تلي عليهم قبل ذلك في قوله عز وجل: ﴿إِنْ تَشَأْ نُخِيفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِكُ عَلَيْهِمُ كِسْبًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبأ: 9]. وقوله: ﴿كِسْبًا﴾ حال من ﴿السَّمَاءِ﴾. والمعنى: أو تسقط أنت علينا السماء إسقاطا مماثلا لما هددتنا به من أن في قدرة ربك - سبحانه - أن ينزل علينا عذابا متقطعا من السماء.

ورابعها: قوله عز وجل: ﴿أَوْ تَأْتِي بَالِ اللَّهِ وَالْمَلِكَةِ فَيَلَا﴾، قوله: ﴿فَيَلَا﴾ قيل: معناه مقابلة وعيانا. وقيل: معناه ضامنا وزعيما بتصديقك، ومنه القبالة وهي الضمان، والقبيل والمتقبل: الضامن. وقيل: معناه نوعا وجنسا لا نظير له عندنا.

وخامسها: قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَدَبِيَّتٌ مِّنْ زُخْرِيٍّ﴾، قال المفسرون: "الزخرف": الذهب في هذا الموضع. والزخرف ما تزين به، كان بذهب أو غيره، ومنه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُوقَهَا﴾ [يونس: 24]. وفي قراءة عبد الله بن مسعود "أو يكون لك بيت من ذهب". قال مجاهد: ما كنا نعرف الزخرف حتى قرأنا في حرف عبد الله "من ذهب".

وسادسها: قوله تعالى: ﴿أَوْ تَرْفُلَ فِي السَّمَاءِ وَلِي نُؤْمِتَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ نُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نُّفَرِّقُ﴾ قوله: ﴿تَرْفُلَ فِي السَّمَاءِ﴾ معناه: تصعد في معارج السماء، فحذف المضاف. والرقي: الصعود. وقوله: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ يريد في الهواء علوا، والعرب تسمي الهواء علوا سماء لأنه في حيز السمو. ويحتمل أن يريدوا السماء المعروفة، وهو أظهر؛ لأنه أعلمهم أن إله الخلق فيها وأنه يأتيه خبرها.

ثانيا: تنزيه الله تعالى عن مطالب المشركين:

بعد سرد الآيات مطالب المشركين السابقة، خاطب الله عز وجل رسوله ﷺ بقوله: ﴿فَلَسْبَحَ رَبِّي قُلُوبُكُمْ إِلَّا بَشَارَ رَسُولٍ﴾ الاستفهام هنا للنفي، أي: ما كنت إلا رسولا كسائر الرسل وبشرا مثلهم.

والمعنى: قل سبحان ربي وتنزيها له من الإتيان مع الملائكة قبيلًا، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتم، ومن أن أقترح أنا عليه هذه الأشياء، وما أنا إلا بشر كسائر البشر، ورسول كسائر الرسل، أرسلت إليكم بالشرعية، وإنما علي التبليغ فقط.

وقرأ ابن كثير وابن عامر "قال سبحان ربي" على معنى الخبر عن رسول الله ﷺ أنه سبح عند قولهم.

وقد نزهت هذه الآية الله سبحانه وتعالى "عن شيء لا يليق به أو نسب إليه مما تقدم ذكره. وليس فيما تقدم ذكره شيء لا يليق بالله إلا قولهم: أو تأتي بالله، فدل هذا على أن قوله: "سبحان ربي" تنزيه لله عن الإتيان والمجيء، وذلك يدل على فساد قول المشبهة في أن الله تعالى يجيء ويذهب. فإن قالوا: لم لا يجوز أن يكون المراد تنزيه الله تعالى عن أن يتحكم عليه المتحكمون في اقتراح الأشياء؟ قلنا: القوم لم يتحكموا على الله، وإنما قالوا للرسول ﷺ: إن كنت نبيا صادقا فاطلب من الله أن يشرفك بهذه المعجزات. فالقوم تحكموا على الرسول وما تحكموا على الله، فلا يليق حمل قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ على هذا المعنى، فوجب حمله على قولهم: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ﴾. وتقرير هذا الجواب أن يقال: إما أن يكون مرادكم من هذا الاقتراح أنكم طلبتم الإتيان من عند نفسي بهذه الأشياء، أو طلبتم مني أن أطلب من الله تعالى إظهارها على يدي لتدل على كوني رسولا حقا من عند الله. والأول باطل لأنني بشر، والبشر لا قدرة له على هذه الأشياء. والثاني أيضا باطل لأنني قد أتيتكم بمعجزة واحدة وهي القرآن، فطلب هذه المعجزات طلب لما لا حاجة إليه ولا ضرورة، فكأن طلبها يجري مجرى التعنت والتحكم، وأنا عبد مأمور ليس لي أن أتحكم على الله". [مفاتيح الغيب، للرازي: 21 / 409 410].

ثانيا: مقاصد الآيات:

تهدف هذه الآيات إلى تحقيق مقاصد تربوية متعددة، منها:

- بيان صدق رسالة النبي ﷺ التي تدعو إلى توحيد الله تعالى، وترشد الناس إلى عبادته؛ إذ هو وحده من يستحق ذلك.

- تأييد الله تعالى رسوله ﷺ بالقرآن الكريم الذي عجز العرب عن الإتيان بمثله، وكان الدليل الأكبر على صدق المرسل به ﷺ في دعوى النبوة.
- ليس من شرط صدق النبوة تواتر المعجزات وتكاثرها؛ لأنه لو فتح هذا الباب لطالب الناس كل رسول أتى بمعجزة أن يأتيهم بمعجزة أخرى، وهكذا لا يتوقف الأمر عند حد يحتكم إليه العقلاء، وينتهي فيه عناد المعاندين.

التقويم

- 1 - لماذا لم يستجب الله تعالى لطلب المشركين تأكيداً لصدق رسوله ﷺ؟
- 2 - أستنتج من الآيات حكمة النبي ﷺ في تعامله مع المشركين.
- 3 - كيف أقتدي بالنبي ﷺ في التعامل مع المخالفين؟

الاستثمار

لما طلب المشركون من الرسول ﷺ ما ورد في الآيات موضوع الدرس، أجابهم بقوله: "ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلٌ". قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ، فَيَتَقَدَّمُ فَيُعَلِّمُكَ مَا تَرَجِعُنَا بِهِ وَيُخْبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا إِذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْتَنَا بِهِ؟ إِنَّهُ قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكَكَ وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتَّى نُهْلِكَكَ، أَوْ تَهْلِكَنَا. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَنْهُمْ، وَقَامَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ ابْنُ الْمُغِيرَةِ (...) فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، عَرَضَ عَلَيْكَ قَوْمُكَ مَا عَرَضُوا فَلَمْ يَقْبَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ لِنَفْسِهِمْ أُمُورًا لِيَعْرِفُوا بِهَا مَنَزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ كَمَا

تَقُولُ وَيُصَدِّقُوكَ وَيَتَّبِعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مَا يَعْرِفُونَ بِهِ فَضَلَّكَ عَلَيْهِمْ وَمَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثُمَّ سَأَلُوكَ أَنْ تُعَجِّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا تَخَوِّفُهُمْ بِهِ مِنْ الْعَذَابِ فَلَمْ تَفْعَلْ، أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ، فَوَاللَّهِ لَا أُوْمِنُ بِكَ أَبَدًا حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّمًا ثُمَّ تَرْقِيَ فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ حَتَّى تَأْتِيَهَا، ثُمَّ تَأْتِي مَعَكَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ أَنَّكَ كَمَا تَقُولُ، وَإِنَّمِ اللَّهُ لَوْ فَعَلَتْ ذَلِكَ مَا ظَنَنْتُ أَنِّي أَصْدَقُكَ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ مِمَّا كَانَ يَطْمَحُ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ حِينَ دَعَا، وَلَمَّا رَأَى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ.

[السيرة النبوية، لابن هشام: 1/ 262 263]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبرز من خلال النص تجرؤ المشركين على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ.
- 2 - أبين الحكمة من عدم تعجيل الله تعالى عقابهم جزاء لهم على هذا التجرؤ.

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 94 - 98 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

- 1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **أُولِيَاءَ - مَاؤُولِيَهُمْ جَهَنَّمَ - حَبْتَبَ - سَعِيرًا**.
- 2 - كيف رد الله تعالى عن المشركين وأبطل مزاعمهم؟
- 3 - ما العلة في حذف ياء ﴿الْمُفْتَى﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَفْعِدِ اللَّهَ فَهُوَ الْفُتَى﴾؟